أثر بحوث الإعجاز العلمي في بعض القضايا الفقهية

د. عبد ا   المصلح ود. عبد الجواد الصاوي

لقد ثارت تساؤلات كثيرة حول عدة فتاوى تتعلق بخلـق الأجنـة وحملهـا وبنيت عليها أحكام خطيرة أثارت جدلا واسعا في الأوساط العلمية وهي الفتـوى بجواز إسقاط الأجنة قبل أربعة أشهر، والفتوى بجواز بقاء الأجنة في الأرحام لعدة سنوات، ثم من ا   ببحوث الإعجاز العلمي الطبية فـصححت كثيـرا مـن هـذه المفاهيم.

وسنتناول في هذا البحث مناقشة ثلاثة قضايا مهمة تتعلق بهـذا الموضـوع وهي: أطوار الجنين ونفخ الروح_، وأقصى مدة للحمل، وأن المـرأة الحامـل لا تحيض

القضية الأولى: أطوار الجنين ونفخ الروح

شاع فهم بين كثير من علماء المسلمين السابقين والمعاصرين على أن زمن أطوار الجنين الأولى: النطفة والعلقة، والمضغة، مدته مائة وعشرون يوما؛ بنـاء علـى فهم منطوق حديث جمع الخلق الذي رواه الإمام البخاري وغيره؛ عن عبد ا   بن مسعود ﷺ قال : حدثنا رسول ا   ﷺ وهو الصادق المصدوق ـ قال: إن أحـدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث ا   ملكاً يؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح (١) وبما أن الحديث قد أشار إلى أن نفخ الـروح فـي الجنين يحدث بعد انتهاء زمن طور المضغة الذي ينتهي بنهاية الأربعـين الثالثـة حسب هذا الفهم ، فعليه أفتى بعض علمائنا الأجـلاء بجـواز إجهـاض الجنـين وإسقاطه خلال الشهور الأر بعة الأولى من عمره، بلا ضرورة ملجئة، لأن حياته في هذه الفترة حسب فهمهم حياة نباتية، لم تنفخ فيها الروح الإنسانية بعـد، وقـد ترسخ هذه الفهم عند البعض حتى أصبح كأنه حقيقة شرعية مـسلمة. لكـن هـذا المفهوم لزمن أطوار الجنين الأولى وأنها تقع في ثلاثة أربعينات؛ قد ثبـت يقينـا اليوم أنه يتعارض مع الحقائق العلمية المعتمدة في علم الأجنة الحديث. مما جعـل غير الراسخين في العلم من المسلمين يردون مثل هذه الأحاديث ويـشككون فـي صحتها، كما توهم بعض المحاربين للإسلام أن هذا الموضوع يعد خنجرا بأيديهم يمكن أن يطعنوا به سنة النبي ﷺ.وقد وصلت للهيئة عـدة رسـائل عبـر شـبكة الإنترنت تتعلق بهذا الموضوع .

ولذلك أعد هذا البحث لبيان الحقيقة في هذه القضية ، واعتمد في منهجـه علـى ثلاثة أسس:

١- الدراسة الموضوعية لجميع نصوص القرآن والسنة الـواردة فـي هـذه الموضوع.
٢- وصف أطوار الجنين من خلال فهم الدلالات اللغوية وأقوال المفـسرين للألفاظ والآيات القرآنية، ثم للحقائق العلمية في علم الأجنة البشرية.

٣- نفخ الروح في الأجنة يجب أن يخضع فهمه أساسا للنصوص الـشرعية حيث تمثل الدليل القطعي فيها، أما الجوانب العلمية المتعلقـة بهـا _ إن وجدت_ فهي أمر ثانوي ودليل ظني لا تقوم به حجة قاطعة فـي هـذه القضية .

وقد أثبت البحث أن الوصف القرآني لأطوار الجنين الأولى وشرح المفـسرين لهذه الأطوار، والتحديد الزمني الدقيق لها في السنة النبوية، تتوافـق والحقـائق العلمية في علم الأجنة الحديث. وأن أطوار النطفة، والعلقة، والمضغة، تقع كلها في أربعين يوماً واحدة فقط. كما أجاب البحث على سؤال : متى تنفخ الروح في الجنين؟ أبعد أربعين واحدة أم بعد ثلاثة أربعينات؟.

ولذلك تمت معالجة البحث ضمن النقاط التالية:

أولا: الوصف الدقيق لأطوار الجنين المطابق للواقع في القرآن الكريم:

وصف القرآن الكريم أطوار الجنين وصفا دقيقا من خلال إطلاق مسمى على كـل طور له بداية ونهاية محددة، حيث يصف المظهر الخـارجي للجنـين، ويعكـس عمليات التخلق الداخلية له في فترات زمنية متعاقبة.

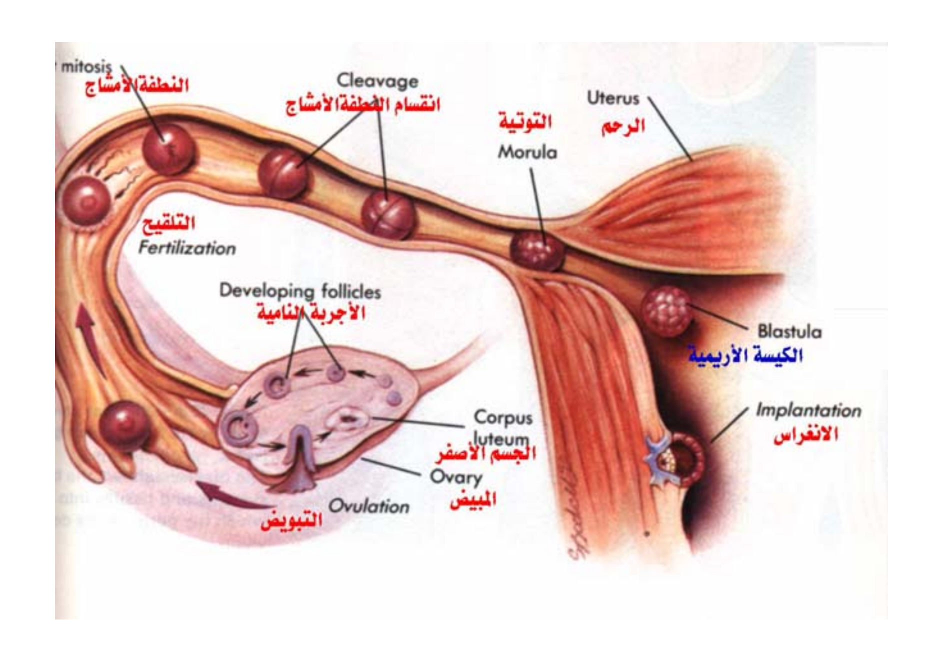
قال ا تعالى: (ولَقَد خَلَقْنَا الْإِنسان من سلالَة من طينٍ ثُم جعلْنَاه نُطْفَةً في قَـرارٍ مكينٍ ثُم خَلَقْنَا النطْفَةَ علَقَةً فَخَلَقْنَا الْعلَقَةَ مضغَةً فَخَلَقْنَا الْمـضغَةَ عظَامـا فَكَـسونَا الْعظَام لَحما ثُم أَنشأْنَاه خَلْقًـا آخَـر فَتَبـارك اللـه أَحـسن الْخَـالِقين) سـورة المؤمنون١٢- ١٤

وسأذكر ملخصا للدلالات اللغوية وأقوال بعض المفسرين في كل طور ومطابقـة ذلك للحقائق المستقرة في علم الأجنة الحديث.

آ- طور النطفة:

تطلق النطفة على الماء القليل ولو قطرة وفي الحديث (وقد اغتسل ينطف رأسـه ماء) رواه مسلم وقد أطلقها الشارع على مني الرجل و مني المرأة وفي الحديث: (من كل يخلق من نطفة الرجل ونطفة المرأة) رواه مسلم. قال الألوسي: والحـق أن النطفة كما يعبر بها عن مني الرجل يعبر بها عن المني مطلقا.(٢)

وقال ابن كثير: ثم صيرنا النطفة وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجـل وترائب المرأة.(٣) كما أطلقها الشارع أيضا على امتزاج نطفتي الرجل والمـرأة وسماها النطفة الأمشاج في قوله ا تعالى: (إنا خلقنا الإنسان من نطفـة أمـشاج نبتليه) الإنسان ٢ وقد عرف المفسرون النطفة الأمشاج بأنها: النطفة المختلطة التي اختلط وامتزج فيها ماء الرجل بماء المرأة.(٤) وهـذه هـي البييـضة الملقحـة بتطوراتها العديدة والتي لا تزال تأخذ شكل قطرة الماء ولها خاصـية الحركـة الانسيابية كقطرات الماء تماما. وينتهي هذا الطور بتعلق الكيسة الأريمية ببطانة الرحم في نهاية الأسبوع الأول من التلقيح؛ وهي الصورة الأخيرة للنطفة الأمشاج والتي مازالت تحافظ على شكل قطرة الماء بالرغم من تضاعف خلاياها أضعافا مضاعفة.



شكل رقم (١)

وحينما يفقد هذا الطور حركته الانسيابية ويتعلق ببطانة الرحم يتحول إلى طور جديد هو طور العلقة.

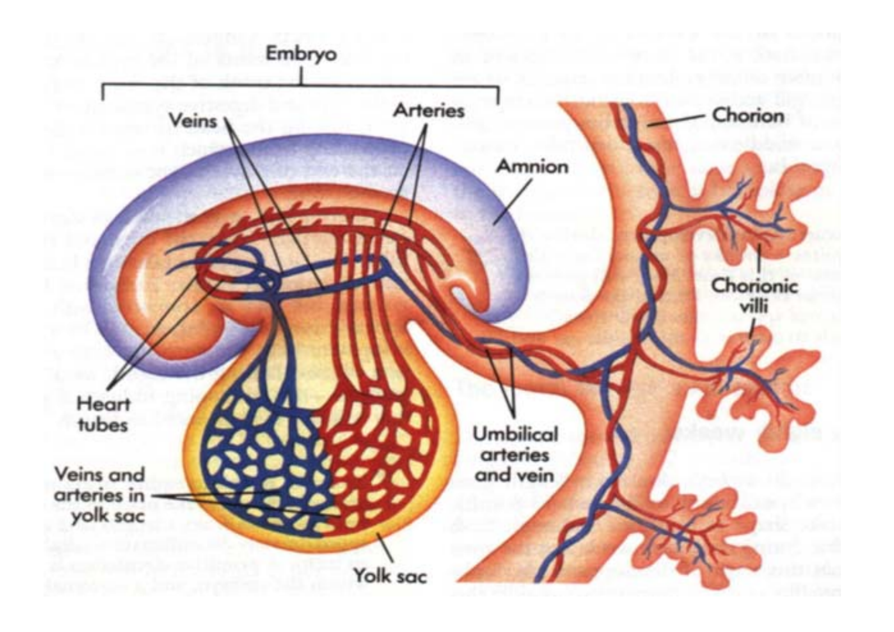
ب- طور العلقة:

لهذا الطور عدة أشكال من بدئه وحتى نهايته. وكلمة علقة كما يقول المفـسرون: مشتقة من علق وهو الالتصاق والتعلق بشيء ما.(٥) وهذا يتوافق مع تعلق الجنين ببطانة الرحم خلال الأسبوع الثاني شكل(٢).



شكل رقم (٢)

كما يطلق العلق على الدم عامة وعلى شديد الحمرة وعلى الدم الجامد.(٤) وهذا يتوافق مع شكل الجنين في هذا الطور حينما تتكون لديه الأوعية الدموية المقفلة والممتلئة بالدماء خلال الأسبوع الثالث.



شكل رقم (٣)

والعلقة : دودة في الماء تمتص الدم، وتعيش في البرك، وتتغذى على دماء الحيوانات التي تلتصق بها، والجمع علاق. وقد وصف ابن كثير هذا الطور فقال: أي صيرنا النطفة علقـة حمراء على شكل العلقة مستطيلة.(٢٥١/٣)

فالجنين في نهاية هذا الطور كما يقول المفسرون: يكون على شكل علقة مستطيلة لونها شديد الحمرة لما فيها من دم متجمد. وهذا يتوافق مع الشكل الأخيـر لهـذا الطور حيث يأخذ الجنين شكل الدودة التي تمتص الدماء وتعيش في الماء ويشترك الجنين معها في قوة تعلقه بعائله والحصول على غذائه من امتـصاص دمائـه ، والمدة الزمنية لهذا الطور هي من بداية الأسبوع الثاني وحتى نهايـة الأسـبوع الثالث من التلقيح.

ج- طور المضغة:

وفي بداية الأسبوع الرابع وبالتحديد في اليوم لثاني والعشرين يبـدأ القلـب فـي النبض وينتقل الجنين إلى طور جديد هو طور المضغة. وقد وصف المفسرون هذا الطور وصفا دقيقا: فقال ابن كثير: مضغة: قطعة كالبضعة من اللحم لا شكل فيها ولا تخطيط، قدر ما يمضغ الماضغ تتكون من العلقة.(٢٥١/٣) وقال الألوسـي: قطعة لحم بقدر ما يمضغ لا استبانة ولا تمايز فيها. (٢١/١٠) وهذا ما يتوافق مع الجنين في أول هذا الطور حيث يتراوح حجمه من حبة القمح إلى حجم حبة الفول (٣-٥مم) وهو القدر الذي يمكن مضغه، ويبدو سطحه من الخارج وقد ظهـرت عليه النتوءات أو الكتل البدنية حيث تجعله كشيء لاكته الأسنان تماما، لكـن لا شكل فيه ولا تخطيط يدل على أنه جنين إنساني ولا تمايز للملامح الإنـسانية ولا

اسـ ـتبانة فيـ ـه لأي عـ ـضو مـ ـن أعـ ـضاء الجـ ـسم الإنـ ـساني.



شكل(٤)

وبما أن الجنين يتحول ويتغير من يوم إلى يوم بل من ساعة إلى أخرى فـالجنين في النصف الثاني من هذا الطور تقريبا تظهر عليـه بـراعم اليـدين والـرجلين والرأس والصدر والبطن كما تتكون معظم براعم أعضائه الداخلية، ومع احتفاظه بالشكل الخارجي المشابه لمادة ممضوغة يصدق عليه أنه مخلق وغير مخلق.

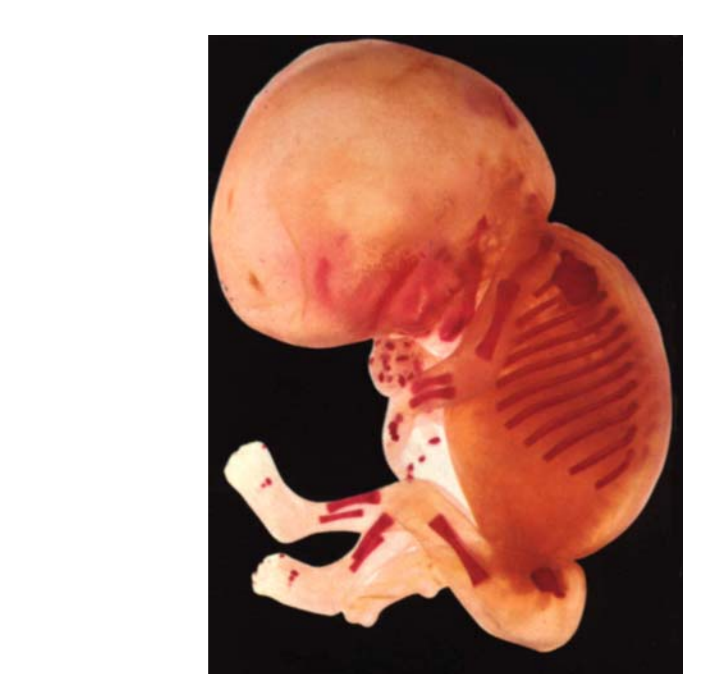


شكل(٥)

وهاهو الوصف القرآني يقرر هذه الحقيقة قال تعالى: (ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة) الحج ٥. قال ابن كثير : مضغة قطعة كالبضعة من اللحم لا شكل فيهـا ولا تخطيط ، ثم يشرع في التشكيل والتخطيط فيصور منها رأس ويدان وصـدر وبطن وفخذان ورجلان وسائر الأعضاء، ولهذا قال تعالى: (ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة) أي كما تشاهدونها.(٢١٦/٣) وقال الألوسي: والمراد تفصيل حـال المضغة وكونها أولا قطعة لم يظهر فيها شيء من الأعضاء ثم ظهرت بعد ذلـك شيئا فشيئا.(١٧٣/١٠) لذلك فالوصفين (مخلقة وغير مخلقة) لابد أن يكونا لازمين للمضغة .قال ابن عاشور: قوله تعالى :(مخلقة وغير مخلقة) صـفة (مـضغة) وأن هذا تطور من تطورات المضغة، وإذ قد جعلت المضغة من مبـادئ الخلـق

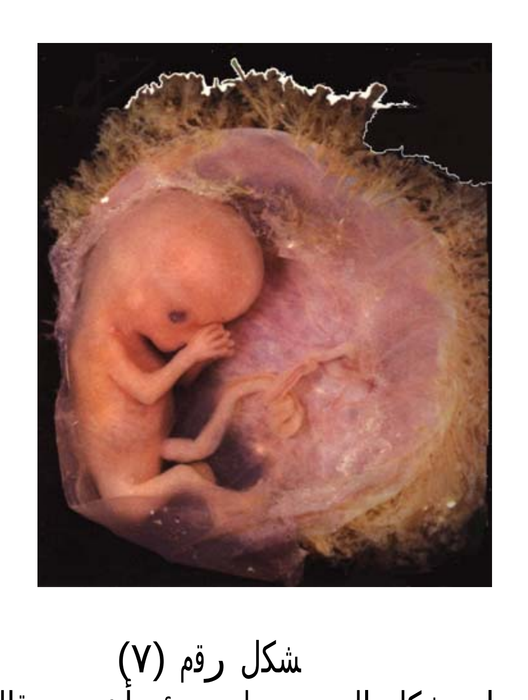
تعين أن كلا الوصفين لازم للمضغة.(٦) ويؤكد ذلك الرازي بقوله: يجب أن تحمل مخلقة وغير مخلقة على من سيصير إنسانا لقوله تعالى في أول الآية (فانا خلقناكم).(٧) وفي هذا النص دلالة على أن التخليق يبدأ في هذا الطور وهو ما أكدته حقائق علم الأجنة في أن التخليق يبدأ من أول الأسبوع الرابع. وينتهي هذا الطور قبيل نهاية الأسبوع السادس حيث يبدأ الطور التالي في التخليق وهو:

د- طور العظام؛ وذلك بتشكل الجنين في هذا الطور على هيئة مخصوصة وإزالة صورة المضغة عنه واكتسابه صورة جديدة؛ حيث يتخلق الهيكل العظمي الغضروفي، وتظهر أولى مراكز التعظم في الهيكل الغضروفي في بداية الأسبوع السابع، فيتصلب البدن وتتميز الرأس من الجذع وتظهر الأطراف.



شكل رقم (٦)

قال ابن كثير في قوله تعالى (فخلقنا المضغة عظاما): يعني شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها.(٢٥١/٣) وقال الشوكاني: أي جعلها ا سبحانه متصلبة لتكون عمودا للبدن على أشكال مخصوصة. (٤٨٣/٣) وقال الألوسي: وذلك التصيير بالتصليب بما يراد جعله عظاما من المضغة وهذا تصيير بحسب الوصف؛ وحقيقته إزالة الصورة الأولى عن المادة وإفاضة صورة أخرى عليها.(٢١/١٠) ثم يبدأ الجنين الطور الأخير من التخليق وهو طور كساء العظام واللحم.



شكل رقم (٧)

وفي هذا الطور يزداد تشكل الجنين على هيئة أخص. قال ابن كثيـر فـي قولـه تعالى: (فكسونا العظام لحما): أي جعلنا على ذلك ما يستره ويشده ويقويه. وقال الشوكاني : أي أنبت ا سبحانه على كل عظم لحما على المقدار الذي يليـق بـه ويناسبه وكذا قال غيرهم. (٨) وهذا يتوافق مع ما ثبت في علم الأجنـة مـن أن العظام تخلق أولا ثم تكسى بالعضلات في نهاية الأسبوع السابع وخلال الأسـبوع الثامن من تلقيح البييضة وبهذا تنتهي مرحة التخليق حيث تكون جميع الأجهـزة الخارجية والداخلية قد تشكلت ولكن في صورة مصغرة ودقيقة. وبنهاية الأسـبوع الثامن تنتهي مرحلة التخليق والتي يسميها علماء الأجنة بالمرحلة الجنينية. هذا وقد أكد علم الفحص بأجهزة الموجات فوق الصوتية أن جميع التركيبـات الخارجيـة والداخلية الموجودة في الشخص البالغ تتخلق من الأسبوع الرابع وحتى الأسـبوع الثامن من عمر الجنين، كما يمكن أن ترى جميع أعضاء الجنين بهـذه الأجهـزة خلال الأشهر الثلاثة الأولى.

ثم يبدأ الجنين بعد الأسبوع الثامن مرحلة أخرى مختلفة يـسميها علمـاء الأجنـة بالمرحلة الحميلية، ويسميها االقرآن الكريم: مرحلة النشأة خلقا آخر. ولذلك يعتبـر طور كساء العظام باللحم الحد الفاصل بين المرحلة الجنينية والحميلية.

هـ- مرحلة النشأة خلقا آخر:

تبدأ مرحلة النشأة في الأسبوع التاسع حيث ينمو الجنين ببطء إلى الأسبوع الثـاني عشر ثم ينمو بعد ذلك بسرعة كبيرة. وتستمر هذه المرحلة حتى نهاية الحمل.



شكل رقم (٨)

خصائص مرحلة النشأة:

تختص هذه المرحلة بعدة خصائص أهمها: تطور ونمو أعضاء وأجهزة الجنـين وذلك بتهيئتها للقيام بوظائفها. كما تختص بنفخ الروح فيها عند جمهور المفسرين. قال ابن كثير: ثم نفخنا فيه الروح فتحرك وصار خلقا آخر ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب. (٢٥١/٣) وقال الألوسي: أي مباينا للخلق الأول مباينة مـا أبعدها حيث جعل حيوانا ناطقا سميعا بصيرا. (٢٢/١٠) كما تحدث أثنـاء هـذه المرحلة التغيرات في مقاييس الجسم ويكتسب الجنين صورته الشخصية. وهو مـا أشارت إليه الآيات :" الذي خلقك فسواك فعدلك. في أي صورة ما شاء ركبـك " الانفطار ٧-٨ وكلمة "سواك" تعني جعل الشيء مستويا ومستقيما ومهيـأ لأداء شئ محدد. والتعديل في اللغة تعني التقويم وتعني كلمة (فعـدلك) تغيـر الـشكل والهيئة لتكوين شئ محدد. وكلمة صورة تعني هيئة أو شـكل. (٩) ومـا ذكـره القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا هو ما قررته حقائق علم الأجنة؛ فالتسوية تبدأ عقب عملية الخلق في المرحلة الحميلية أي بعد الأسبوع الثـامن، حيـث يـستقيم الجنين وتتهيأ الأعضاء لأداء وظائفها، ويتخذ الجنين المقاييس الطبيعية (التعديل). كما تتغير مقاييس الجسم وتتخذ ملامح الوجه المقاييس البشرية المألوفة، ويكتسب الجنين الصورة الشخصية له (التصوير). (١٠)



شكل رقم (٩)

وبهذا يثبت علم الأجنة أن مرحلة التخليق تكون في الأسابيع الثمانية الأولى مـن عمر الجنين، ويتكون خلالها معظـم أجـزاء الأجهـزة والتركيبـات الجنينيـة المختلفة.وقسمها العلماء إلى طورين : طور انقسام وتمايز الخلايا الجنينية، وزمنه في الأسابيع الثلاثة الأولى أي: (زمن طوري النطفة والعلقـة) وطـور تكـون وتشكل أعضاء الجنين وزمنه مـن الأسـبوع الرابـع وحتـى نهايـة الأسـبوع الثامن.(زمن أطوار المضغة والعظام وكساء العظام باللحم) ولا تنتهي هذه الفتـرة إلا وقد تشكلت الملامح الأساسية للجنين.

وقد تطابقت المعلومات العلمية والدراسات الجنينية الحديثة، بعدما أصبحت حقائق مشاهدة مع ما وردفي القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ

ثانياً: نصوص السنة تحدد زمن أطوار الجنين الأولى

١-روى الإمام مسلم بسنده عن عبد ا ابن مسعود قال: حـدثنا رسـو ل ا ﷺ وهو الصادق المصدوق قال : (إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومـا ،ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثـم يرسـل الملك فينفخ فيه الروح. ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد). رواه مسلم

٢- روى الإمام مسلم بسنده عن حذيفة بن أسيد أن رسول ا ﷺ قال : (إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة ،بعث ا إليها ملكا، فصورها وخلق سمعها وبـصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك مـا شـاء ويكتب الملك). رواه مسلم

أخبر النبيﷺ في الحديث الأول أن الجنين يجمع خلقه في أربعين يوما، فما هو هذا الجمع للخلق؟ تعني كلمة (جمع) في اللغة (١١) : جمع الشيء عن تفرقة ، قال ابن حجر(١٢) : والمراد بالجمع ضم بعضه إلى بعض بعد الانتشار . فما هو الـشيء المنتشر المفرق الذي يضم بعضه إلى بعض لتحقيق تكون الخلق ؟ إن هذه العبارة النبوية غاية في الدقة العلمية ؛ حيث يمكن استنتاج أن النبي صلى ا عليه وسـلم

أشار بها إلى انقسام وتكاثر الخلايا الجنينية الهائل والسريع وفي اتجاهات متفرقة، وعلى تمايز هذه الخلايا في طور العلقة ، ثم هجرة وتجمع خلايا كل عضو مـن أعضاء الجنين ليتم تكونه وتخلقه في طور المضغة في صورة براعم أولية ، ولا تنتهي الأربعون يوماً الأولى إلا وخلايا جميع أعضاء الجنين المختلفة قد تمـايزت وهاجر ما هاجر منها وتجمعت في أماكنها المحددة لها بعـد أن كانـت متـشابهة وغير متمايزة في مرحلة التكاثر الهائل والسريع للخلايا الجنينيـة الأوليـة فـي الأسابيع الأولى.

كما أخبرﷺ في نفس الحديث أن أطوار الجنين الأولى؛ العلقـة والمـضغة تبـدأ وتكتمل أوصافها وتنتهي خلال هذه الأربعين. فالحديث يتكلم عن التحديد الزمنـي لقضيتين: الأولى: زمن جمع الخلق لخلايا أعضاء الجسم في صورة براعم أولية ، والثانية: زمن أطوار الجنين؛ العلقة والمضغة نصا والنطفة لزوما؛ لأنه لا وجـود لكلمة النطفة في الروايات الصحيحة.

والحديث بهذا اللفظ للإمام مسلم يختلف عن حديث الإمام البخـاري فـي زيـادة عبارة (في ذلك) والتي صححت الفهم وأظهرت التطابق التام مع حقائق علم الأجنة الحديث فأزالت شبه الزائغين وردت كيد أعداء السنة والإسلام إلى نحورهم.

بناء على هذه الرواية للحديث فخلق الجنين يجمع خلال الأربعين يوما الأولى من عمره. وأطوار النطفة والعلقة والمضغة تقع وتكتمل كلها في خلال هذه الأربعين؛ لأن لفظ(في ذلك) يعود إلى الوقت، أي إلى الأربعين يوما، أما اسم الإشارة فـي قوله(مثل ذلك)، فلا بد أنه يعود إلى شيء آخر غير الوقت، وأقرب شيء إليـه هنا هو جمع الخلق. والمعنى إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك (أي في ذلك العدد من الأيام) علقة (مجتمعة في خلقها) مثل ذلـك، (أي مثلما اجتمع خلقكم في الأربعين)، ثم يكون في ذلك (أي في نفس الأربعـين يوما) مضغة (مجتمعة مكتملة الخلق المقدر لها) مثل ذلك، (أي مثلما اجتمع خلقكم في الأربعين يوما).وذلك من ترتيب الإخبار عن أطوار الجنـين لا مـن ترتيـب المخبر به.

كما أخبر النبي ﷺ في الحديث الثاني أن الجنين قبل اليوم الثـاني والأربعـين لا يمكن تمييز صورته الإنسانية ولا تخلق أجهزته بصورة تامة إلا بعد هذا التاريخ؛ فالحديث يشير بوضوح إلى أن تشكل الجنين بتصويره وخلق سمعه وبصره وجلده ولحمه وعظامه وتمايز أعضائه الجنسية لا يحدث إلا بعد اليوم الثاني والأربعين.

ثالثا: حل الخلاف في فهم الأحاديث:

كان للشيخ عبد المجيد الزنداني وهو على رأس الباحثين في الهيئة فضل الـسبق في التوفيق بين الأحاديث الواردة في هذا الموضوع وحل الخـلاف فـي فهمهـا والانتصار لسنة النبي ﷺ وبيان أوجه الإعجاز العلمي فيها.

وقد اتضح بالأدلة الشرعية والحقائق القطعية بأن القول بأربعين لكل طـور مـن أطوار النطفة والعلقة والمضغة قول غير صحيح للأدلة التالية :

١-روى حديث ابن مسعود السابق كل من الإمامين البخاري ومسلم ، ولكن رواية مسلم تزيد لفظ (في ذلك) في موضعين قبل لفظ (علقة) وقبل لفظ (مضغة) وهـي زيادة صحيحة تعتبر كأنها من أصل المتن جمعا بين الروايات. وعلى هذا تكـون الرواية التامة لألفاظ الحديث كما هي ثابتة في لفظ مسلم.(١٠)

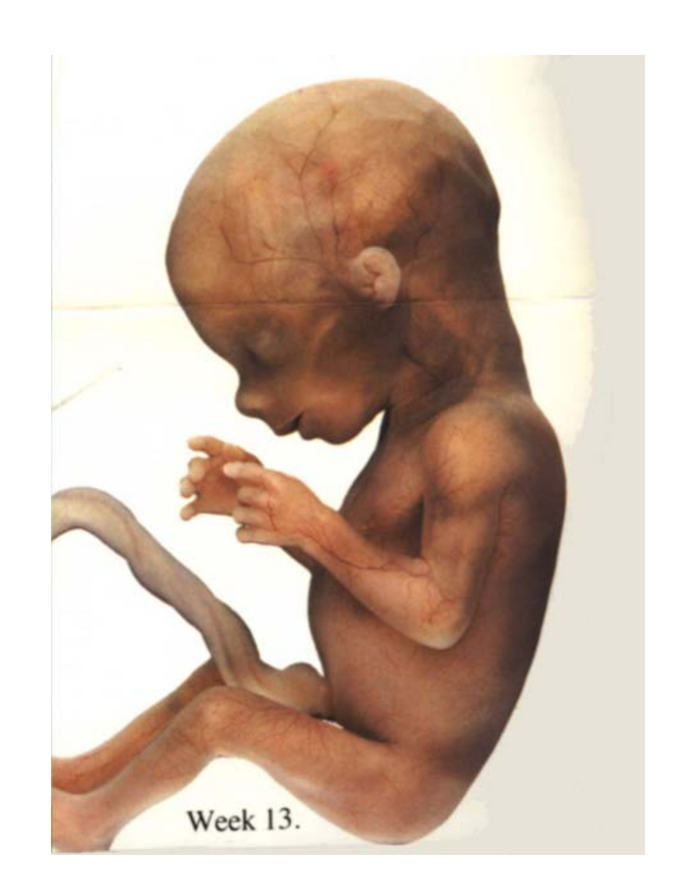
٢-ذكر القرآن الكريم أن العظام تتكون بعد طور المضغة، وحدد النبـي ﷺ فـي حديث حذيفة أن بدء تخلق العظام يكون بعد الليلة الثانية والأربعين من بدء تكـون النطفة الأمشاج؛ وبالتالي فالقول بأن العظام يبدأ تخليقها بعد مائة وعشرين يومـا يتعارض وظاهر الحديث الذي رواه حذيفة تعارضا بينا. كما يتعارض قطعا مع ما أثبتته حقائق علم الأجنة الحديث من أن تكون العظام يبدأ بعد الأسـبوع الـسادس مباشرة، وليس بعد الأسبوع السابع عشر مما يؤيد المعنى الواضح الظاهر لحديث حذيفة . (١٠)

وقد نبه على هذا التعارض الواضح مع الحقائق العلمية الواقعية لأطوار الجنـين علماؤنا الأجلاء السابقين فقال ابن رجب الحنبلي : بعدما أورد حديث ابن مـسعود برواية الإمام أحمد والتي تشبه رواية البخاري فضعف متنه وسنده حيـث قـال: ورواية الإمام احمد تدل على أن الجنين لا يكسى إلا بعد مائة وستين يوما، وهـذا غلط لا ريب فيه، وعلي ابن زيد هو ابن جدعان لا يحتج به. (١٣)

وقال في موضع آخر: وظاهر حديث ابن مسعود يدل على أن تـصوير الجنـين وخلق سمعه وبصره وجلده ولحمه وعظامه يكون في أول الأربعين الثانية، فيلزم من ذلك أن يكون في أول الأربعين الثانية لحما وعظما.(٢٦)

٣- التعارض مع الوصف القرآني لأطوار الجنين حيث لا ينطبق التفسير للوصف القرآني مع الطور الموصوف؛ فالجنين في اليوم العشرين أو الثلاثـين أو التاسـع والثلاثين لا يمكن وصفه كقطرة الماء ويختلف في شكله وحجمه عنها على وجه القطع .

والجنين في اليوم الخمسين أو الستين لا يمكن وصفه بأنه على شكل الدودة التـي تعيش في البرك وتمتص الدماء أو أنه يظهر على شكل قطعة دم جامـدة حيـث يكون الجنين في هذه الفترة قد تشكل وتطور وتم خلق جميع أعضائه. والجنين بعد اليوم الثمانين وإلى اليوم المائة والعشرين لا يمكن وصفه بحال بأنـه مـضغة لا شكل فيها ولا تخطيط أو أنه مخلق وغير مخلق حيث تكون أجهـزة الجنـين قـد تخلقت منذ زمن بعيد، والجنين نفسه في منتهى الحيوية والنشاط ويمارس جميـع حركاته وانفعالاته . انظر شكل (١٠)



شكل رقم (١٠)

٤-رواية الإمام مسلم تحل الخلاف: إنه لما كان اسم الإشارة فـي قولـه - مثـل ذلك- لفظا يمكن صرفه إلى واحد من ثلاثة أشياء ذكرت قبله في الحديث، وهي: جمع الخلق ، وبطن الأم ، وأربعين يوما؛ فهو لفظ مجمل يحمل على اللفظ المبين للمقصود من اسم الإشارة في قوله، والذي يبين لنا ذلك حديث حذيفة الذي يمنـع مضمونه أنه يعود اسم الإشارة على الفترة الزمنية (أربعـين يومـا) لأن الـنص المجمل يحمل على النص المبين حسب قواعد لأصوليين ولا يصح أن يعود اسـم الإشارة على (بطن الأم) لأن تكراره في الحديث لا يفيد معنى جديـدا وسـيكون الكلام حشوا يتعارض مع فصاحة رسول ا ﷺ . وإذا كان اسـم الإشـارة فـي الحديث لا يصح إعادته إلى الأربعين يوما الأولى، ولا إلى بطن الأم، فيتعين بناء على ذلك أن يعود اسم الإشارة في قوله (مثل ذلك) على جمع الخلـق، لا علـى الأربعينات، وهو ما توصل إليه وحققه ابن الزملكاني في القرن السابع الهجـري. واستنتج من ذلك أن النطفة والعلقة والمضغة تتم خلال الأربعين يوما الأولى.

قال ابن الزملكاني: (وأما حديث البخاري فنزل على ذلك، إذ معنى يجمع في بطن أمه، أي يحكم ويتقن، ومنه رجل جميع أي مجتمع الخلق . فهما متـساويان فـي مسمى الإتقان والإحكام لا في خصوصه، ثم إنه يكون مضغة في حصتها أيـضا من الأربعين، محكمة الخلق مثلما أن صورة الإنسان محكمة بعد الأربعين يومـا فنصب مثل ذلك على المصدر لا على الظرف. ونظيره فـي الكـلام قولـك: إن الإنسان يتغير في الدنيا مدة عمره. ثم تشرح تغيره فتقول : ثم إنه يكون رضيعا ثم

فطيما ثم يافعا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا ثم هرما ثم يتوفاه ا بعد ذلك. وذلك مـن باب ترتيب الإخبار عن أطواره التي ينتقل فيها مدة بقائه في الدنيا.

ومعلوم من قواعد اللغة العربية أن (ثم) تفيد الترتيب والتراخي بين الخبـر قبلها وبين الخبر بعدها، إلا إذا جاءت قرينة تدل على أنها لا تفيد ذلـك ، مثل قوله تعالى: (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ثم آتينا موسى الكتاب ...) ومن المعلوم أن وصية ا لنا في القرآن جاءت بعد كتاب موسى، فـ(ثـم) هنا لا تفيد ترتيب المخبر عنه في الآية. وعلى هذا يكـون حـديث ابـن مسعود: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون في ذلـك (أي في ذلك العدد من الأيام) علقة (مجتمعة في خلقها) مثل ذلـك (أي مثلما اجتمع خلقكم في الأربعين) ثم يكون في ذلك (أي في نفس الأربعين يوما مضغة (مجتمعة مكتملة الخلق المقدر لها) مثل ذلك أي مثلما اجتمع خلقكم في الأربعين يوما. (١٤)ا هـ

وعلى هذا يتضح أن معنى (مثل ذلك) في حديث عبد ا ابـن مـسعود لا يمكن أن يكون مثلية في الأربعينات من الأيام. فينبغي فهـم حـديث ابـن مسعود برواية البخاري بما ينسجم مع رواية مسلم ومع الأحاديث الأخرى المتعلقة بالموضوع. وينبغي التنبيه على أن هناك كلمة أدرجت في روايـة البخاري عمقت المفهوم الخاطئ لأطوار الجنين وهي: كلمـة نطفـة فـي الجملة الأولى من الحديث: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة...الحديث) فكلمة نطفة غير موجودة في رواية البخاري فضلا عـن عدم وجودها في أي رواية صحيحة.

رابعا: متى تنفخ الروح في الجنين؟ أبعد أربعين واحدة أم بعد ثلاثة أربعينات؟

إن هذه القضية كما قلنا لا يفصل فيها العلم الحديث ولكن تفصل فيها النـصوص الشرعية. ولا يوجد فيما أعلم نص صريح وصحيح إلا حديث جمع الخلق الـذي رواه البخاري مسلم وغيرهما عن عبد ا بن مسعود قال حـدثنا رسـول ا ﷺ وهو الصادق المصدوق أن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أربعين يوما ثم يكون فـي ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فيـنفخ فيـه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد* رواه مسلم

وقد اتفق علماء المسلمين أن الجنين تنفخ فيه الروح بعد اكتمال طـور المـضغة، بناء على هذا النص النبوي الصريح . وبما أنه قد ثبت أن زمن المضغة يقع فـي الأربعين يوما الأولى، بنص رواية الإمام مسلم لحديث جمع الخلق، وحديث حذيفة بن أسيد (إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون يوما...الحديث) وتوافـق حقـائق علـم الأجنة الحديث مع هذه الأوصاف الشرعية لأطوار الجنين ؛ إذا فالروح تنفخ بعـد الأربعين الأولى من عمر الجنين بيقين. لكن متى يحدث ذلـك بالـضبط ؟ أبعـد شهرين أم ثلاثة أم أربعة أو أقل أو أكثر؟ لا أظن أن أحدا يستطيع أن يحدد موعد نفخ الروح على وجه الجزم واليقين في يوم بعينه بعد الأربعين يوما الأولى! حيث

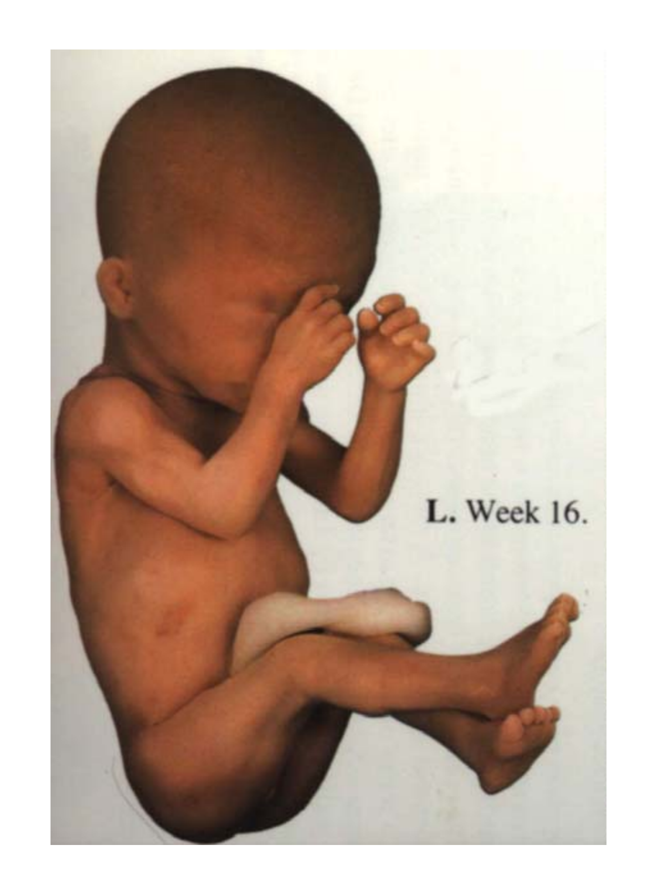
لا يوجد فيما أعلم نص صحيح في ذلك. لكن يمكن أن يجتهد في تحديـد الموعـد التقريبي استئناسا بقول ا تعالى: (ثم سواه ونفخ فيه من روحه) السجدة ٩ حيث يمكن أن يفهم منه أن الروح تنفخ في الجنين بعد التسوية ، وبما أن التسوية تأتي بعد الخلق مباشرة لقوله تعالى: (الذي خلقك فسواك فعدلك). الإنفطار ٧ . فيمكن القول بأن الروح تنفخ في الجنين بعد مرحلة الخلق أي بعد الأسبوع الثـامن مـن عمره أي في مرحلة النشأة خلقا آخر؛ وهو استنتاج معظم المفسرين الذين قالوا إن طور النشأة خلقا آخر هو الطور الجنيني الذي تنفخ فيه الروح والتي لا يكـون إلا بعد طوري العظام وكسائه باللحم كما نصت الآية الكريمة. ويعضد ذلـك حـرف (ثم) الذي يفيد التراخي في حدوث الفعل حينما ذكر مع نفخ الروح فـي حـديث جمع الخلق حيث ورد (ثم ينفخ فيه الروح كما في البخاري أو ثم يرسـل الملـك فينفخ فيه الروح كما في مسلم)

وحيث أنه لا ينتهي الأسبوع الثامن إلا وجميع الأجهزة الرئيسة قد تخلقت وانتهى طور المضغة في الأربعين يوما الأولى من عمـر الجنـين وتميـزت الـصورة الإنسانية وسوى خلق الإنسان خلال هذه الفترة أو بعدها بقليل؛ فعليه يمكن للروح أن تنفخ في الجنين بعد انتهاء عملية الخلق في الأسبوع التاسع أو العاشر أو بعـد تميز الأعضاء التناسلية في الأسبوع الثاني عشر أو بعد ذلك! وا أعلم .

لكن هل توجد علامات تدل على أن الجنين قد نفخت فيه الروح؟ نعم يمكـن أن يكون نوم الجنين علامة على نفخ الروح فيه قياسا على النائم الذي يتمتع بالحيـاة رغم أن الروح قد قبضت منه مؤقتا. أخذا من قـول ا تعـالى : (ا يتـوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قـضى عليهـا المـوت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الزمر٤٢

كما يمكن أن تكون الحركات الإرادية دليلا على وجود الروح. وقد أشار لذلك ابن القيم في وصفه الجنين قبل وبعد نفخ الروح فقال: كانت فيه حركة النمو والاغتذاء كالنبات، ولم تكن حركة نموه واغتذاءه بالإرادة، فلما نفخت فيه الروح انـضمت حركة حسيته وإرادته إلى حركة نموه واغتذائه.(١٥)

وقد أثبتت الأجهزة الحديثة رؤية حركات جسم الجنين في وقت مبكر؛ حيث يمكن أن تصور عند الأسبوع الثامن أو عندما يبلغ كيس الحمل ٣سـم أو يبلـغ طـول الجنين حوالي ١٥ مم. كما يمكن أن ترى الحركات الجنينية التي تعبر عن حيويـة الجنين مثل حركات التنفس وحركات الأطراف العليا وضربات القلب وحركـات عدسة العين والبلع وحركات الأمعاء الدودية. كما رصدت الحركات التي تعبـر عن نشـاط الجنين fetal activity مثل البلع وحركة اليد إلى الفـم والمـضغ وحركات اللسان و حركة اليد إلى الوجه و مص الأصابع؛ والتي يمكن أن تـرى عند الأسبوع السادس عشر؛أي قبل مائة وعشرين يوما فتأمل! شكل(١١)



شكل رقم (١١)

وتعتبر هذه الحركات انعكاس غير مباشر لحالة الجهاز العصبي المركزي؛ فكلما كانت هذه الحركات موجودة ومتوازنة، كلما كانت حالة الجهاز العصبي نشطة وسليمة.

وهكذا أثبت علماء الأجنة بهذه الأجهزة الدقيقة هذه الحقائق التي تؤكد في مجملها أن أطوار الجنين الأولى من النطفة والعلقة والمضغة ، تحدث كلها خلال الأربعين يوما الأولى، ويجمع في كل منها خلق أعضاء الجنين وأجهزته في صورته الابتدائية خلال الأربعين يوما الأولى من عمره، وأن حركات الجنين الإرادية وبدء عمل وظائف أعضاء الجنين الرئيسية تحدث في الأربعين يوما الثانية من عمره.

وعليه فالقول بأن مدة الأطوار الأولى للجنين من النطفة والعلقة والمضغة مائة وعشرين يوما؛ قول غير صحيح مناقض للحقائق العلمية بكل وضوح .

وبناء على كل ما سبق يمكننا القول بأن الجزم بعدم نفخ الروح إلا بعد أربعة أشهر قول ليس عليه دليل قطعي من النصوص الشرعية، بل مبني على فهم لحديث ظني الدلالة هو: رواية الإمام البخاري لحديث ابن مسعود ثم جاءت حقائق علم الأجنة الحديث معارضة لمفهوم هذه الرواية ومؤيدة لرواية أخرى لنفس الحديث ونفس الراوي رواها الإمام مسلم بزيادة بسيطة في المتن بينت القضية بوضوح لا لبس فيه وهذا يبطل الاحتجاج برواية البخاري في تحديد زمن

أطوار الجنين الأولى. وبالتالي يبطل الاحتجاج بالجزم بعدم نفخ الروح في الجنين قبل أربعة أشهر.
وعليه فإمكانية نفخ الروح في الأجنة قائمة في أي وقت بعد الأربعين يوما الأولى؛ في نهاية الأسبوع السابع، أو الثامن،أو التاسع، أو حتى بعد أربعة أشهر وإن كان الراجح من النصوص أن الروح تنفخ بعد الأسبوع الثامن من التلقيح لدلالة النصوص الصريحة والصحيحة على ذلك. ولعدم وجود حديث واحد صحيح أو حسن ، يصرح بأن الروح لا تنفخ في الجنين إلا بعد أربعة أشهر. ومما يؤكد ذلك الحقائق العلمية الثابتة في علم الأجنة ومن أهمها رؤية مراحل الجنين المختلفة منذ بداية تكونه، واكتمال خلقه وتصويره وقيام معظم أجهزته بوظائفها ورصد حركته الذاتية و أنشطته البدنية قبل أربعة أشهر على وجه القطع.
وينبني على ذلك حرمة الإجهاض بعد الأربعين ؛ لأن الإجهاض محرم عند جمهور الفقهاء بعد نفخ الروح، ونفخ الروح يكون بعد طور المضغة، وطور المضغة يبدأ ويكتمل وينتهي خلال الأربعين يوما الأولى بيقين؛ فعليه يرجح القول بحرمة الإجهاض بعد الأربعين يوما الأولى من بداية تلقيح البييضة وتكون النطفة الأمشاج. وتشتد الحرمة بعد مرحلة التخليق، أي بعد ثمانية أسابيع، وهي أشد بعد الشهر الثالث أو الرابع. والله أعلم

القضية الثانية: ما هي أقصى مدة للحمل؟

قال الشنقيطي رحمه الله [1]: (أما أكثر أمد الحمل فلم يرد في تحديده شيء من كتاب ولا سنة والعلماء مختلفون فيه، وكلهم يقول بحسب ما ظهر له من أحوال النساء..). ثم استعرض أقوال العلماء في أقصى مدة للحمل: (فمن قائل أنها سنتان أو أربع أو خمس أو سبع،.. إلى أن قال: أظهر الأقوال دليلا أنه لا حد لأكثر أمد الحمل، لأن كل تحديد بزمن معين لا أصل له ولا دليل عليه، وتحديد زمن بلا مستند صحيح لا يخفى سقوطه، والعلم عند الله تعالى).
بعد هذه المقدمة نقول وبالله التوفيق: إن كل الآراء التي ذكرها العلماء إنما كانت آراء مبنية على أخبار موهومة من النساء، فالمرأة التي حملت وتأكدت من حملها، حينما.ينزل عليها دم، وربما بغزارة بعد تأخر دورتها الشهرية ربما تظن أن حيضة أتتها على حملها، فتبقى معتقدة أنها حامل، وخصوصا أنها لا ترى في الدم أثرا لجنين ميت، حيث لا يرى بالعين المجردة وسط الدماء في هذه الفترة (٠٢، جم في نهاية الشهر الأول)، ثم تحمل مرة أخرى بعد شهر أو اثنين أو أكثر، ويحدث لها ما حدث في المرة الأولى، فتحسب عمر حملها الأخير منذ الحمل الأول، والحقيقة أنها حملت ثم أسقطت مرارا، من غير أن تدري بالحمل أو السقط. كما أن إصابة المرأة.بما يعرف علميا بالحمل الكاذب (Molar Pregnancy)، قد يكون أساسا لهذا الوهم: حيث يكبر حجم الرحم وينتفخ بطن

[1] أضواء البيان ٨٥/٣

المرأة وتعتقد جازمة بأنها حامل هي ومن حولها، ثم قد تزول هذه الأعراض،التي يمكن أن تستمر شهورا عديدة، ويأتيها حيض طبيعي ثم تحمل بعـد ذلـك حمـلا حقيقيا، فتحسب عمر حملها الحقيقي منذ بدء حملها الكاذب. وفي بعـض حـالات الإجهاض المخفي؛ ينقطع الدم ولا تأتي للمرأة دورة شهرية لعدة أشـهر أو لعـدة سنوات وأحيانا لعدة عقود، ويقول الدكتور صاحب المرجـع الطبـي[٢]: أنـه رأى شخصيا حالات لدى بعض السيدات حدثت لديهن انقطاع للدورة الشهرية لمدة ٣٨ شهرا.

وبناء على هذه الاحتمالات؛ يمكن أن يقع الخطأ في التقدير والحساب عنـد النساء والمحيطين بهن، ونقل هذا الخطأ إلى العلماء عن طريقهن، فأفتى علماؤنـا الأجلاء بجواز تأخر الجنين في بطن أمه أكثر من تـسعة أشـهر، فمـن قائـل بسنتين،ومن قائل بثلاث، أو أربع، ومن قائـل بخمـس أو سـت سـنين وغيـر ذلك.فليتأمل.

وقد كان رأي الشنقيطي - رحمه ا - موضوعيا، حينما أطلق هذا الأمـر وجعله بلا حد زمني، لأنه لا دليل على هذا الحد عند علماء الـشريعة، حيـث لا يوجد مستند صحيح يرجع إليه.

والحق في هذه المسألة أن المستند الصحيح الذي ذكره الشنقيطي - رحمـه ا - موجود الآن بصورة قاطعة، في المراجع العلمية الطبية المحققة، ولا مجال لنكرانه أوإهماله !.

وهذه شهادة أحد العلماء المعاصرين في تفسيره [٣]: والإحـصاء العلمـي دل على أن الجنين لا يزيد بقاؤه.في بطن أمه عن٣٠٥ أو ٣٠٨ يومـا، وهنـاك رأي في المذهب المالكي أن عدة المطلقة سنة قمرية (٣٥٤) يوما، وأما ما يـذكر في المذاهب لأقصى مدة-الحمل فمستنده الاستقراء وأخبار النـاس، والنـاس قـد يخطئون أو يتوهمون وجود الحمل في فترة زمنية ما، وليس في ذلك نص شرعي ثابت.

فالأطباء الآن هم أهل الذكر في هذا الموضوع، وأبحاثهم ومراجعهم تؤكد أن مدة الحمل لا تزيد عن واحد وأربعين أسبوعا من بدء التلقيح، وإن زادت عن ذلك فالجنين معرض لخطر الموت؛ وذلك لتدهور كفاءة المشيمة والرحم فـي إمـداده بالغذاء اللازم؛ فيصاب بتلف في المخ ويهلك[٤]. فلا يمكن مثلا أن يـستمر الحمـل خمسين أسبوعا، لأن الحمل والولادة تتم وفق سنن ثابتة لا تتغير، ولم يـذكر أي مرجع طبي حالة واحدة سجل فيها الحمل لمدة سنة كاملة مثلا، فضلا عن أكثر من ذلك، وإذا بطلت هذه المسألة - وهي باطلة قطعا - فكل ما ورد من آراء تـربط بين نزول الدم من المرأة الحامل، وبقاء الجنين في بطنها فترة أطول؛ آراء غيـر صحيحة.

---

[٢] Charles R. Whitfield (1995) Dewhurst"s Textbook Of Obestetrics & Gynecology. P31

[٣] التفسير المنير ١٣ / ١٢٠

[٤] E. Albert Reece & Others (1994) Fundamental Of Obstetric & Gynecology Ultrasound p203

القضية الثالثة: عدم حيض المرأة الحامل

إن قضية حيض المرأة الحامل لا أساس لها من الصحة، لا من الناحية الشرعية ولا الطبية. فالمرأة الحامل لا تحيض. هذه حقيقة علمية لا شك فيها، ومثبتة بالدلائل اليقينية في المراجع الطبية وترجح قول من قال من العلماء، بأن المرأة الحامل لا تحيض، وأن الدم الذي ينزل منها هو دم فساد لا دم حيض، والأدلة الشرعية تعضد هذا القول، وقد ذكرها الشنقيطي[5] - رحمه ا - في النقاط التالية:

(١) ما جاء في بعض روايات حديث ابن عمر في طلاقه امرأته في الحيض أن النبي ﷺ قال لعمر: (مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا) وهذه الرواية أخرجها أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة، قالوا: قد جعل النبي ﷺ علامة عدم الحمل الحيض، كما جعل الطهر علامة لذلك.

(٢) حديث (لا توطأ حامل حتى تضع، ولا حائل حتى تستبرأ بحيضة) رواه أحمد وأبو داود والحاكم من حديث أبي سعيد رضي ا عنه، وصححه الحاكم وله شواهد، قالوا: فجعل النبي ﷺ الحيض علامة على براءة الرحم، فدل ذلك على أنه لا يجتمع مع الحمل.

(٣) ومنها أنه دم في زمن لا يعتاد فيه الحيض غالبا، فكان غير حيض، قياسا على ما تراه اليائسة، بجامع غلبة عدم الحيض في كل منهما، وقد قال الإمام أحمد رحمه ا : إنما يعرف النساء الحمل بانقطاع الدم.

(٤) ومنها: أنه لو كان دم حيض ما انتفت عنه لوازم الحيض، فلما انتفت عنه دل ذلك على أنه غير حيض، لأن انتفاء اللازم يوجب انتفاء الملزوم، فمن لازم الحيض حرمة الطلاق، ودم الحامل لا يمنع طلاقها، للحديث المذكور آنفا الدال على إباحة طلاق الحامل والطاهر، ومن لازم الحيض أيضا انقضاء العدة به، ودم الحامل لا أثر له في انقضاء عدتها لأنها تعتد بوضع حملها لقوله تعالى: (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) [6].

الأدلة العلمية على أن الحامل لا تحيض.

هناك عدة حقائق قد استقرت في علم الأجنة، عن كيفية حدوث وتوقف الحيض أثناء الحمل، أولى هذه الحقائق: أن حدوث الحيض وتوقفه يخضع لتأثيرات هرمونية، غاية في الترابط والدقة والإحكام.

وثاني هذه الحقائق: أن هناك علاقة وطيدة بين المبيض والرحم لها دور فعال في التحكم الهرموني المسيطر على عملية الحيض بمراحله المختلفة.

ثالث هذه الحقائق: أن هناك تغيرات وتبدلات وظيفية تحدث في جسم الرحم بعد حدوث الحمل تمنع حدوث الحيض.

---

[5] أضواء البيان ٣ / ٩٣،٩٤

[6] الطلاق (٤)

وإلقاء إطلالة سريعة على تفصيل لهذه الحقائق يوضحها ويجليها.

ا- التبدلات الدورية في الرحم (الدورة الرحمية) سنة في الخلق:

تتألف الدورة الرحمية من أربع مراحل:

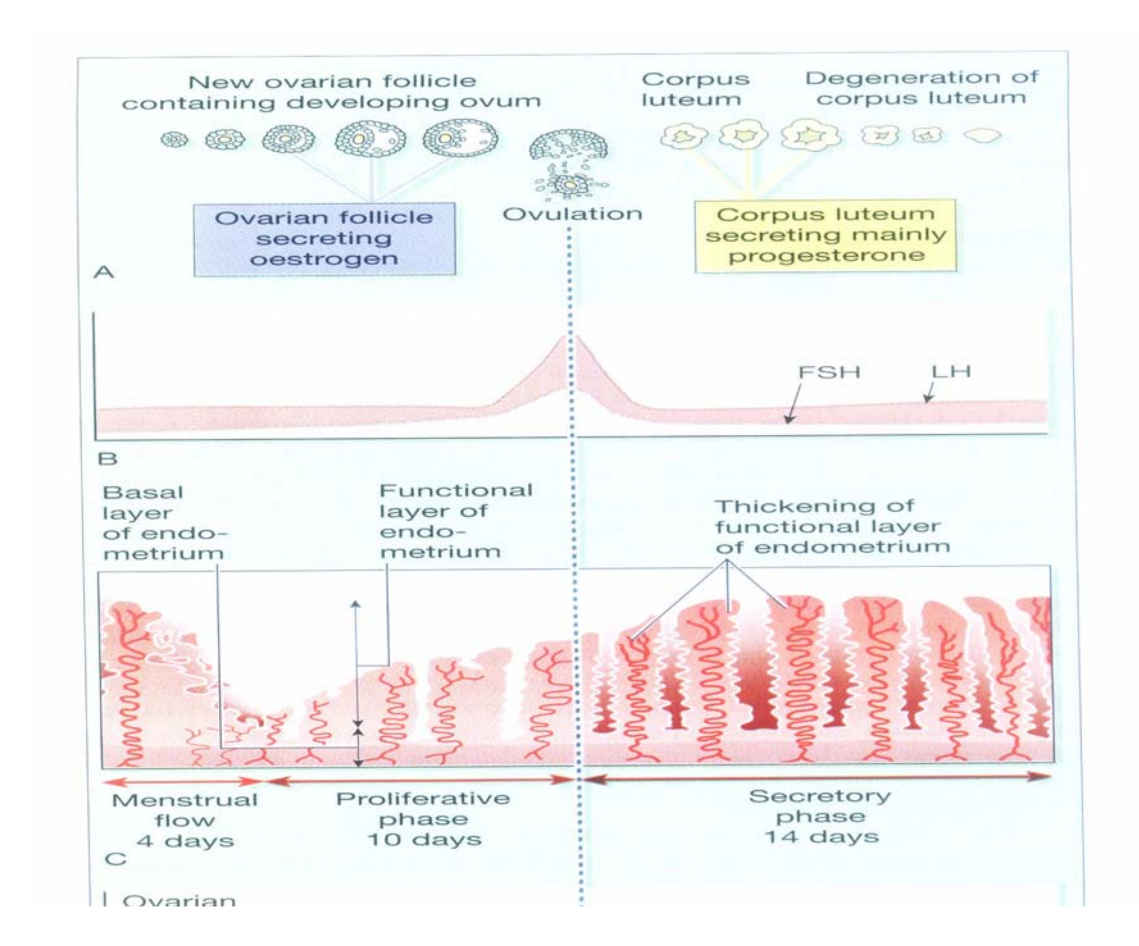
أ - مرحلة الحيض [*]: تبدأ من اليوم الأول لرؤية دم الحيض حيث تنسلخ الطبقة الوظيفية لبطانة الرحم، وتنطرح كل ٢٨ يوما تقريبا وتستمر من ٣ - ٥ أيام.

ب -المرحلة الجرابية أو طور التكاثر: وتتبع المرحلة السابقة، وتنتج عن فعل هرمون الأستروجين، حيث تعود بطانة الرحم إلى النماء، والأجربة المبيضية للنضج.

ج -المرحلة الإفرازية أو الطور الأصفر: وهى تتبع سابقتها وتنتج عن فعل هرمون البروجستيرون، المفرز من الجسم الأصفر، وفيها تتورم (تنتفخ) بطانة الرحم وتكثر مفرزات غددها، وتصبح شرايينها حلزونية.

د- المرحلة ما قبل الحيض أو طور الحرمان: وفيها ينقطع إفراز الهرمونات النخامية، (fsh&lh) فيتحول الجسم الأصفر في المبيض إلى ندبة، وتنقطع الشرايين الحلزونية ونهايات الغدد الرحمية، وتنكمش الطبقة الوظيفية وتصبح شاحبة، وتنسلخ في بدء الدورة الطمثية التالية. تنتظم الدورة الرحمية بشبكة مترابطة من الهرمونات، تبدأ في الدماغ في منطقة ما تحت المهاد، (hypothalamus) فهي تفرز هرمونات تؤثر على الغدة النخامية، فتطلق ما فيها من هرمونات أو تثبط افرازها، وأهمها هنا: الحاثة الجرابية (FSH) وهى تحث بعض الأجربة الموجودة في مبيض المرأة، على النمو من بداية الدورة، والحاثة الصفراء (L H)) وهى تحث الجراب الناضج على الإباضة بمساعدة الحاثة الجرابية. أنظر شكل(١٢).

[*] قصر الحيض على تلك الفترة ، وإن كان مصطلحا طبيا إلا أنه لاينبني عليه حكم شرعي؛ كأداء الصلاة وانتهاء العدة؛إذ قد تزيد أو تنقص بحسب اختلاف عادات النساء. إذ يلزم للطهر انقطاع الدم وآثاره من الصفرة والكدرة ، وهذه قد تأخذ وقتا من طور التكاثر.



شكل (١٢) : يبين العلاقة بين التحكم الهرموني للغدة النخامية، ودورتي الرحم والمبيض. ويرى في الشكل تغيرات بطانة الرحم في دورة الطمث العادية، في النصف لأول من الشكل، وترى بطانة الرحم في النصف الآخر وقد تهيأت لانغراس النطفة الأمشاج فيها، وتلاحظ التغيرات في المبيض والتغيرات الهرمونية خلال هاتين الدورتين.

٢- العلاقة الوطيدة بين المبيض والرحم:

يقوم المبيض خلال الدورة الطمثية بإفراز هرموني، من خلال بنائه الغـدي المسمى بالجسم الأصفر، حيث يفرز هرمون البروجستيرون بعد الإباضة، بـشكل تدريجي ليبلغ ذروته بين اليومين السابع والتاسع بعد الإباضة، ثم يهبط إلى مستواه الطبيعي قبل الطمث بيومين، كما يفرز الجسم الأصفر كميات قليلة مـن هرمـون الأستروجين.أنظر شكل (١٢).يثبط البروجيسترون تدريجيا الحاثة الـصفراء (L. H)، ويهيئ بطانة الرحم والجهاز التناسلي الأنثوي لتعـشيش الكيـسة الأريميـة (Blastocyst)، في حالة حصول الحمل (التلقيح)، لذلك يدعى الهرمون المهـيء للحمل. فإذا لم تتلقح البييضة يصل الجسم الأصفر ذروة تطوره في حوالي اليـوم التاسع بعد الإباضة، ثم يتراجع في الحجم ويتحول إلى ما يعرف بالجسم الأبيض، لذلك يتناقص المفرز من هذا الهرمون سريعا، مما ينشأ عنه النزف الطمثي. انظر

شكل (١٢). أما إذا تلقحت البييضة فيستمر الجسم الأصفر في نموه وإفرازه نتيجة فعل هرمون ثالث هو: المنميات التناسلية الزغابية الإنسانية (S.C.G.T)، الـذي يظهر خلال يومين أو ثلاثة من تعشيش البييضة الملقحة، وهـو يحـول الجـسم الأصفر إلى جسم أصفر حملي، ويزداد حجمه ازديادا كبيرا فـي نهايـة الـشهر الثالث، كما يزداد إفرازه الهرموني من البروجيستيرون والإستروجين اللذين لهما تأثير حيوي مهم في تغيير التركيب الوظيفي للرحم. وتؤكد المراجع الطبيـة فـي النساء والتوليد هذه الحقيقة فيقول أحدها [٧]: إن الرحم هو العضو الهدف لهرموني الإستروجين والبروجستبرون، وهذان الهرمونان لهما دور حاسم في تغيير البنيـة التي تحدث أثناء المراحل المختلفة في حياة المرأة، حيث يتكون الرحم أساسا مـن عضلات ملـساء وخلايـا عـضلية، تحتـوى علـى مـستقبلات للإسـتروجين والبروجستيرون، فليس بمستغرب أن نرى أن تركيب الرحم ووظائفه العـضوية ستتغير اعتمادا على الحالة الهرمونية للمرأة.

٣- جسم الرحم في زمن الغرس [٨]

تكون بطانة الرحم زمن التعشيش في طور الإفراز البروجستيرونى النـاجم عن الجسم الأصفر، وتلاحظ أولى علامات تأثير البروجستيرون، خلال يومين أو ثلاثة من الإباضة، حيث تتضخم غدد الرحم وتتعرج وتمتلئ بالإفرازات، كما تكبر الخلايا المبطنة للرحم (stroma cells) وتسمى الخلايا الساقطة، وتصبح شرايين بطانة الرحم حلزونية ونسيجها متوذما (منتفخا). أنظر شكل (١٢).

ونتيجة لهذه التبدلات تتمايز بطانة الرحم إلى ثلاث طبقات هي من الخـارج للداخل:

١ - طبقة قاعدية رقيقة: لا يرى فيها توذم أو فرط تصنع، ولهـا أوعيتهـا الخاصة، ولا تنسلخ مع الحيض.

٢ - طبقة إسفنجية ثخينة: تتكون من أقنية الغدد المتوذمة، ومـن الـشرايين الحلزونية المحتقنة، ومن النسيج المتوذم بين الغدد.

٣- طبقة سطحية متضامة: تتكون من خلايا بطانة الرحم المتوذمة والكثيفة،

ماذا يحدث بعد التلقيح؟

إذا تلقحت البييضة تبدى غدد غشاء الرحم المخاطي ازديـادا فـي فعاليتهـا الإفرازية، وتطلق منتجاتها بما فيها المخاط والجليكوجين، من فتحاتها العديدة على سطح هذه الطبقة، واللازمة لتغذية هذه الخلايا الجنينية، وتصبح الشرينات التـي تروي الطبقتين الكثيفة والإسفنجية ملتوية، وتشكل فراشا وعائيا كثيفـا، يتوضـع تحت بشرة الرحم مباشرة، لذلك يصبح غشاء الرحم المخـاطي شـديد التـوذم، ومستعدا لاستقبال الكيسة الأريمية (blastocyst). وتدعى الطبقتـان الـسطحية والاسفنجية من غشاء الرحم المخاطي بعد اكتمال تعشيش الكيسة الأريميـة باسـم الغشاء الساقط (decidua)، حيث يكون هذا الغـشاء تحـت التـأثير الهرمـوني

---

[٧] Steven G. Gobbe & others Obstetrics (1991) 2nd Ed P34

[٨] تطور الجنين د. محي الدين طالو ص ٦٤.

للحاثات النخامية (F.S.H & L.H)، وهرمونات الجسم الأصفر وهرمونات تنشأ عن المشيمة بعد تعشيش البييضة الملقحة، وهو الذي يسقط مع سقوط الجنين أو مع ولادته.

يحدث التلقيح للبييضة خلال (٢٤ - ٣٦) ساعة من الإباضة، وتتحول بعد (٣ - ٤) أيام إلى كرة ممتلئة بالخلايا أشبه بالتوتة، ثم تتحول إلى كيسة أريمية (blastocyst) تصل إلى جوف الرحم وتسبح في مفرزاته،

ثم تعلق وتعشش في بطانة الرحم في اليوم السادس، ومن ثم تبدأ بإفراز هرمونات خاصة بها تدعى الهرمونات الجنينية ويطلق عليها: المنميات التناسلية الزغابية الإنسانية (H.C.G.T)، وهي تحافظ على الجسم الأصفر ليستمر في إفراز هرمونات المبيض (البروجستيرون والإستروجين)،

وهذه الهرمونات تؤدى إلى استمرار نمو وإفراز بطانة الرحم، وتبقيه في طور الإفراز؛ لذلك لا يحصل انقطاع هرموني عنها وبالتالي ينقطع حدوث الحيض وتصبح بطانة الرحم مستقرة صالحة لتعشيش بذرة الجنين. كما أن الهرمونات الجنينية تؤدى إلى تحول الجسم الأصفر إلى جسم أصفر حملي، وبالتالي تزداد إفرازات هرموناته فتثبط هرمونات الغدة النخامية (FSH&LH)؛ فلا تتطور أجربة جديدة؛ لذلك لا تحدث إباضة خلال الحمل وبهذا يتوقف الحيض عند المرأة الحامل.

وبهذا يثبت أن المرأة الحامل لا تحيض، و عليه فكل الآراء التي وصفت الدماء التي تنزل على المرأة الحامل بأنها دماء حيض، آراء غير صحيحة.

الخلاصة والاستنتاج

بناء علي ما تقدم فإن الدم الذي تراه المرأة مصحوبا ببقاء الحمل، إما أن يكون مقدمة أو علامة على حدوث الإسقاط التلقائي كما في حالات الإجهاض المنذر، أو يحدث من نزف الزوائد المرضية في عنق الرحم الخارجي، أو نتيجة لإصابته بكدمة أو جرح، وكذا الدماء التي تنزل على المصابات بالحمل الكاذب، أو بمتلازمة التوأم المتلاشي؛ حيث يحدث نزيف للمرأة نتيجة هلاك أحد التوأمين، وقد يستمر هذا النزيف فترة تظن به المرأة أنه حيض على حملها المتنامي للجنين الآخر. فهذه الدماء لا يمكن أن تكون دم حيض، وليس لها أي تأثير على بقاء الجنين، فترة أطول في الرحم، بل ربما تؤثر بالنقص في عمر الجنين أو وزنه، فالجنين الذي يبقى عادة مع الإجهاض المنذر قد ينزل دون التسعة أشهر، أو ينزل دون الوزن الطبيعي. ومن ثم فلا يبقى هناك احتمال إلا خطأ حساب هؤلاء النسوة اللائى نقلن إلى العلماء مشاهداتهن مع تبريراتهن الخاطئة لها.

وعليه فكل الآراء التي ربطت بين ضعف الولد ورقته بحدوث هذه الدماء، وازدياد مدة الحمل أكثر من المدة المعهودة آراء غير صحيحة، وليس عليها أي دليل علمي.

الهوامش والمراجع:

١-فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣٠٣/٦. ا،كتاب بدء الخلق ، بـاب ذكر الملائكة. رقم الحديث ٨ ٠ ٣٢ . و٣٦٣/٦
٢-الألوسي(أبو الفضل شهاب الدينالسيد محمود) روح المعاني في تفسير القـرآن العظيم والسبع المثاني،المجلد العاشر،ص١٧٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، دار الفكر-بيروت.
٣-ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير) تفسير القرآن العظيم. المجلـد الرابـع ص٤٨٣ دار المعرفة- بيروت.
٤-ابن كثير ٤٨٣/٤ والألوسي ٢٦٢/١٦.
٥- لسان العرب ١٠/ ٢٦٧_٢٦٨ ، الجوهري ٥٢٩/٤، مقاييس اللغة ١٢٥/٤.
٦- الشوكاني (محمد بن علي)فتح القدير ١٩٨٣م المجلد ٣ص٤٤٢دار الفكـر، بيروت.
٧-الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير (١٩٨٤م).الدار التونسية للنشر.
٨-الرازي (الفخر)، التفسير الكبير. ٩/١٢ دار الباز-مكة المكرمة.
ابن كثير٢٥١/٣ والشوكاني٤٨٣/٣ والمراغي٩/١٨ والألوسي٢١/١٠
٩ -المعجم الوسيط ص٥٨٨ و٥٢٨.
١٠-كيث مور وعبد المجيد الزنداني ومصطفى أحمد، وصف التخلـق البـشري طور العلقة والمضغة، بحث مقدم للمؤتمر العالمي الأول للإعجـاز العلمـي فـي القرآن والسنة،(١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، من كتاب علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، ط أولى، مطابع رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.
١١-لسان العرب لابن منظور ٥٣/٨
١٢-العسقلاني(أحمد بن علي ابن حجر)، فتح الباري في شرح صحيح البخـاري ٤٨٨/١١.دار المعرفة، بيروت.
١٣-ابن رجب الحنبلي(زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بـن أحمد)جـامع العلوم والحكـم، ص٥٥ تحقيـق الـدكتور يوسـف البقـاعي (١٩٩٥)ط١ المطبعة العصرية، بيروت.
١٤-البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن لابن الزملكاني ص ٢٧٥
١٥- التبيان لابن القيم ص٣٣٩و ٣٥١
١٦-شرف القضاة، متى تنفخ الروح في الجنين، (١٩٩٠م)، ط أولى، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن.
١٧-صالح عبد العزيز كريم، المدخل إلى علـم الأجنـة الوصـفي والتجريبـي، (١٩٩٠م)، ط أولى، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة.
١٨-مسلم(أبو الحجاج بن الحجاج القشيري)صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبـد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

المراجع الأجنبية:

19-E Albert reece & others (1994) Fundamental Of

Obstetric & Gynecology Ultrasound International ED.
Printice-Hall International Inc.
U.S.A.
20-F.gary Cunnigham , Pc.MacDonald & Others (1993)
William's obstetrics.19th ED.Prentice-hall International Inc.
21-J.P. Green Hill & Others (1989) Modern practice of
Obstetrics.3rd ED.W.B.Saunders Company .Philadelphia
22-John Mclachlan (1994) Medical Emberiology 1st E
.. Addeson –Wesly Publishing comp
23-keith L.moor (1985) Developing Human With Islamic
Edittion 3rd ED. Dar Qiblah. Jeddah
24-Moore & Persaud .(1998) Befor We Are Born 5th .ED.W.B.
Saunders Company.
25-Marjorie A.England(1987).A colour Atlas Of Life Befor Birth Wolj Medical Publications Ltd.
26-Peter J.Ruselt.(1992) Genetics 3rd Ed.Harper Collins Publishers.U.S.A
27- Steven Gobbe & Others (1991) Obstetrics 2nd ED. Churchill living Stone Newyork.
60- ED.Wilkins. 29-Salder(1990),William's &.london's medical Embryology.6th